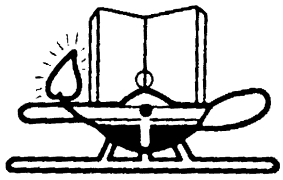

كلية الآداب

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

أطروحة دكتوراه عن

" الأسلاف والأخلاف" بين السُّلطة والحرية
تشكلات السرد في ملحمة إبراهيم الكوني

مقدمة من الباحث

مصطفى سيد عبد العظيم فراج سليم

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين فضل
أستاذ النقد الأدبى – كلية الآداب – جامعة عين شمس

الدكتورة رشا حسين زغلول
مدرس النقد الأدبى – كلية الآداب – جامعة عين شمس

٢٠١٧

الفهرس

- ✓ المقدمة ١-١٨
- ✓ الباب الأول: عوالم إبراهيم الكوني
  - الفصل الأول: مدخل تمهيدي ١٩-٣٧
  - الفصل الثاني: مدخل نقدى لمحلمة الأسلاف والأخلاف ٣٨-٧٧
- ✓ الباب الثانى: حقول دلالية
  - الفصل الأول: جدلية السلطة والحرية ٧٨-١١٧
  - الفصل الثانى: جدلية المال والحرية ١١٨-١٣٣
  - الفصل الثالث: المرأة وتشكلات الصورة ١٣٤-١٦٩
  - الفصل الرابع: التقنيات السردية ١٧٠-١٨٣
- ✓ الخاتمة ١٨٤-١٨٨
- ✓ الملخص ١٨٩-١٩١
- ✓ المصادر ١٩٢
- ✓ المراجع ١٩٣-١٩٨
- ✓ الملخص باللغة الإنجليزية 1-3

المقدمــة

إبراهيم الكونى، روائى ليبى، صاحب مشروع روائى مُحكم سجَّل عبره تاريخ الأمازيغ وقبائل الصحراء الكبرى، وظَّف الكونى مؤلفاته المتنوعة بين الروايات والمجموعات القصصية والتنظير، لإزالة ركام التاريخ، وتوثيق المجهول عن "عالم ظل مهمشا ومنفيا ليس جغرافيًا فحسب، بل ورُوحيًا (أى ميثيولوجيا، وتاريخيا، ودينيا، وطقسيا). واستنطق كائنات هذا الوطن المنسى حاملا عبء رسالته إلى العالم، ليريه عمق ثقافة أمة الصحراء الكبرى المعقدة والتى بسَّطها العالم بنظرته السياحية، ما أسهم فى اغتراب ثقافتهم اغترابا تراجيديا وعمَّق عزلة تراثهم"، وهو ما جاهد الكونى ليوثق عراقتها التى ترجع أصولها إلى فجر التاريخ، متخذا من الرواية سردا دوَّن به "سفر الصحراء فى عوالم تمكنت أن تعبر عن نفسها عبر هذا الجنس الأدبى، تماما كما قالت المدينة كلمتها من خلال بلزاك ودوستويفسكى، وقال البحر كلمته بقلم هرمان ملفيل وهمنجواى، وقالت الغابات كلمتها بقلم كنوت هامسون"[١].

الخيال الروائى والمرجعية الثقافية

أحكم الكونى مشروعه الروائى بجملة من المتواليات السردية، وبلغة رُوحية، أو صوفية، خاصة تحمل العديد من الدلالات، وبأفكار وأبنية عمادها التأسيس

[١]. إبراهيم الكونى، صحف إبراهيم "متون"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، "بتصرف" من صـ ١١٧:١١٩.

الفلسفى[١]، ونصوص الأديان السماوية؛ تراث النُّبُوَّة بتعبير.زينر[٢]، بالإضافة إلى إدراكه ما سجلته "أديان الحكمة"، بقيمها الرُّوحية عبر التأمل والتدبر والاستغراق والمعروفة أيضا بـ"أديان الهند والشرق الأقصى"[٣] ووصايا ."الأديان البدائية" غير الحية.

استند الكونى أيضا إلى ما دوَّنه الرحالة والمؤرخون[٤]، وما سطره بعض الأطباء والسياسيين فى مذكراتهم[٥]، متكئا على موروث الحكى بأساطيره، عبر توحده مع الطبيعة متمثلة فى البحر حينا وفى الصحراء أحيانا.

---

[١] ـ راجع نصوص إبراهيم الكونى عن النفس والحرية والخلاص على لسان شخوص العديد من رواياته من بينها ملحمة الأسلاف والأخلاف، وهو ما استفاضت فى الحديث عنه "الفلسفة الكاثوليكية" فلسفة العصر الوسيط، والقديس أوغسطين منها على وجه الخصوص. انظر برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج٢ ترجمة د.زكى نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.

[٢] ـ انظر إبراهيم الكونى، "قابيل أين أخوك هابيل؟"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.

[٣] ـ راجع إحالات إبراهيم الكونى فى "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة"، دار الصدى، دبى، ٢٠١١. وانظر موسوعة الأديان الحية تحرير ز.س.زينر وآخرين ترجمة د.عبدالرحمن عبدالله الشيخ ط١ ٢٠١٠ ـ القاهرة.

[٤] ـ فى رواية "نداء ما كان بعيدا" استند الكونى إلى الوقائع التاريخية المدونة فى "الحوليات الليبية" لـ"شارل فيرو"، وفى رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" استند لما سجله مؤرخو البحرية الأمريكية.

[٥] ـ انظر إشارات الكونى إلى"مذكرات لويس هرمان" ـ طبيب حملة فيلادلفيا المصاب بداء الأرق، و"مذكرات الطبيب كودرى" فى رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاحة"، ومذكرات المسز توللى سفيرة القنصلية البريطانية فى هذا الزمان المعنونة بـ"عشرة سنوات فى بلاط طرابلس" فى رواية "قابيل أين أخوك هابيل؟".

دوَّن الكونى واحدا وثمانين كتابا ما بين عام (١٩٧١ ـ ٢٠١٦)؛ فى التاريخ الأول كان "ثورات الصحراء الكبرى" وفى الأخير "أهل السرى" ولا يزال نهر إبداعه يتدفق.

تنوعت أسفاره بين مجموعات قصصية، تدخل ما يسميه بـ"المتون"[١] أحيانا بين دفتيها، منها (الصلاة خارج الأوقات الخمسة، وشجرة الرتم، والقفص، وديوان النثر البرى، ووطن الرؤى السماوية، والوقائع المفقودة من سيرة المجوس، وخريف الدرويش، والصحف الأولى)، وأحيانا أخرى تمثل "المتون" سفرا كاملا: (صحرائى الكبرى، وديوان البر والبحر، وأبيات، وصحف إبراهيم، والمحدود واللا محدود)، وبين روايات منفردة (التبر، ونزيف الحجر، والفم، و واو الصغرى، وعشب الليل، والدمية، والفزاعة، والدنيا أيام ثلاثة، وبيت فى الدنيا وبيت فى الحنين، والبحث عن المكان الضائع، وأنوبيس، ومراثى أوليس)، وسبع روايات ملحمية (سداسية الأسلاف والأخلاف، "موضوع الدراسة"، وخماسية الناموس، وثلاثية سأسرى بأمرى لخلانى، ورباعية الخسوف، وثنائية المجوس، وثنائية السحرة، وثنائية خضراء الـدِّمن)، وانتهاء بالتنظير، حيث شرع فى سبعينيات القرن العشرين بتدوين "ثورات الصحراء الكبرى" و"نقد ندوة الفكر الثورة"، و"ملاحظات على جبين الغربة" هذا بالإضافة إلى كتاب "بيان فى لغة اللاهوت.. لغز الطوارق يكشف لغزى الفراعنة وسومر" بأجزائه السبعة حتى الآن، والمعنونة أيضا بـ"موسوعة البيان"، أضف إلى هذا "سيرته الذاتية" الصادرة فى أربعة أجزاء تحت عنوان "عَـدوس السُّرى.. روح أمم فى نزيف ذاكرة" أعوام ٢٠١٢ و٢٠١٣ و٢٠١٤، و٢٠١٦ ورواية ناقة الله الصادرة عام ٢٠١٥، ومعزوفة الأوتار المزمومة ٢٠١٦، وأهل السرى ٢٠١٦.

[١] . المتون: تدوينة قصيرة تتضمن بعض الحكم بلغة أدبية مكثفة.

"خفايا الصحراء" فى ضوء الترجمة

منذ عام ١٩٨٣ بدأت لغات العالم تنتبه إلى سرديات الكونى، كان البولنديون أول من التقطوا نصوصه، فقدم مجموعة من المترجمين مختارات قصصية له تحت عنوان "خفايا الخلاء"، بعدها اتجهت إليه كثير من اللغات (الروسية والألمانية والإيطالية والهولندية واليابانية والإسبانية والفرنسية والإنجليزية والسويدية والدنماراكية)، هذا إلى جانب "نصوص وقصص وفصول من روايات منشورة بمختلف الأنطولوجيات والدوريات الأدبية فى كل القارات بلغات عالمية مثل الصينية والبنغالية والتركية والجورجية والكازاخية والأوزبكية والأوكرانية والرومانية والمجرية"[١].

من بين النصوص المترجمة رواية "التبر" إذ نقلت إلى أربع لغات؛ الإيطالية والألمانية واليابانية والإسبانية أعوام (١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨)، وترجمت رواية "نزيف الحجر" إلى خمس لغات (الألمانية والهولندية والفرنسية والإنجليزية والسويدية) أعوام (١٩٩٥ - ١٩٩٧ - ١٩٩٩ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٣)، ولاتزال الترجمة تلاحق سردياته وليس آخرها "المجوس" إلى الروسية ٢٠١٠[٢].

[١] – إبراهيم الكونى، قائمة بأعمال الكونى المترجمة، حررها بناء على طلب الباحث، مرفقة فى خاتمة الدراسة بأسماء المترجمين كاملة.

[٢] - المرجع نفسه.

دراسات سابقة

رغم المكانة العالمية التى حققتها سرديات الكونى، فإن منجزه لم يُقدَّر حق قدره، وإنْ تناولت بعض المقالات والدراسات النقدية القليل من نصوصه، بالنظر إلى منجز الرجل الروائى، من هذه الدراسات، على سبيل المثال لا الحصر، تلك التى قدمها الدكتور صلاح فضل عن روايات "لون اللعنة" و"السحرة"[١]، ومن أنت أيها الملاك؟"[٢]، و"التبر" و"عشب الليل"[٣]، بالإضافة إلى المدونة النقدية الثرية للدكتور عبدالله إبراهيم فى "موسوعة السرد العربى" عن روايات "المجوس ونزيف الحجر والتبر"[٤]، ودراسة الدكتور سعيد الوكيل عن رواية "التبر"[٥]، وفخرى صالح عن "نزيف الحجر والتبر"[١].

---

[١] ـ د.صلاح فضل، التمثيل الجمالى للحياة، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٤، صـ٢٢ وما بعدها، وصـ٧١:٧٩.

[٢] ـ د.صلاح فضل، سرديات القرن الجديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥، صـ١٦٥:١٦٨.

[٣] ـ د.صلاح فضل، تحليل شعريات السرد، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ٢٠٠١، صـ١١:١٩.

[٤] . .عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربى، الجزء الثانى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، صـ١٥٢:١٤٨، وانظر أيضا د.عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة الأبنية السردية والدلالية، الجزء الثانى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣، صـ١٥٧:١٦٢.

[٥] ـ د.سعيد الوكيل، الجسد فى الرواية العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، صـ٦٩:١٦٢.

ركزت الرسائل الجامعية التى تناولت نصوص الكونى على الصحراء عالما روائيا، ولم يلتفت أحد إلى الانعطافة الكبرى فى منجزه بعدما صار البحر معادلا موضوعيا للصحراء فى "سداسية الأسلاف والأخلاف"، موضوع الدراسة، وما وجدته من دراسات تخصصت فى رصد الظواهر السردية فى روايات الكونى بعيدٌ عن نصوص وهدف أطروحتنا هذه، بالإضافة إلى أن هذه الدراسات على تنوعها وقعت فى فخ تكرار النصوص موضوع البحث؛ ورغم أن منجز الرجل بلغ ثمانين نصا حتى الآن فإن عدد الروايات التى اعتمدها الباحثون فى دراساتهم لم يتجاوز اثنتى عشرة رواية على الأكثر، تشترك "رباعية الخسوف" فى أربع دراسات من جملة ست تناولت منجزه الروائى، ونستعرضها هنا وفقا للترتيب الزمنى من القديم إلى الحديث.

١. جماليات التشكل الفنى فى رواية الصحراء

ميرال عبدالستار الطحاوى، دكتوراه ٢٠٠٥، إشراف الدكتور عبدالمنعم تليمة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

اختصت الباحثة إبراهيم الكونى بالمبحث الثالث فى دراستها فجاء تحت عنوان «المسار التاريخى والأسطورى فى المقدس الرعوى» وقد عالجت مبحثها عن سبع روايات من منجز الكونى (المجوس بجزءيها، ونزيف الحجر، والتبر، و واو الصغرى، والفم، وفتنة الزوَّان) إلى جوار نصوص للمبدعين: غسان كنفانى، وعبدالرحمن منيف، ومالك حداد، وصبرى موسى، وأحمد ولد عبد القادر، ورجاء عالم.

[١] . فخرى صالح، فى الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٩، ص٧١:٧٧.

٢. العالم الروائى عند إبراهيم الكونى.. الأسطورة واقعا والواقع أسطورة تامر السيد على القزاز، ماجيستير ٢٠٠٥، إشراف الدكتور صلاح السروى والدكتور محمد عبدالله حسين، كلية الآداب، جامعة حلوان.

اعتمد الباحث فى دراسته على تسعة نصوص جاءت على النحو التالى؛ (رباعية الخسوف، التبر، بر الخيتعور، السحرة، عشب الليل)، حاول عبرها "استكشاف عالم الكونى الروائى، وما يحمله من رؤية للعالم فى ضوء منهج "البنيوية التوليدية" فى محاولة منه لقراءة تكشف عن البنية المولدة لعالم الكونى من خلال السياق الاجتماعى والثقافى للنص"، بحسب الباحث.

٣. أضواء نقدية على رباعية الكونى
د.على عبدالمطلب الهونى، الطبعة الأولى ٢٠١١، دار البيان، ليبيا.

تتناول الدراسة «رباعية الخسوف» (البئر، والواحة، وأخبار الطوفان الثانى، ونداء الوقوف)، وفق أربعة أبعاد، تمثلت فى البعد "النقدى، والدينى، والاجتماعى، والتاريخى"، ورغم احتفاء المؤلف بالكونى كأحد أساطين الرواية العربية، وما أضافه لقومه ولجغرافية صحراء شمال أفريقيا، فإن الدراسة جاءت انطباعية خالية من المنهج. كما حاكمت النص محاكمة شرعية متعسفة، وإن كان المؤلف سجل على الكونى "تعصبه لأهله وذويه من «البدو» أو الطوارق على حساب «أهل الواحة»، إذ رسم الكونى للطوارق صورة رائعة اجتهد فى تكوينها وتزويقها ما أمكنه، قابلها بصورة قبيحة مزرية لأهل الواحة وعاداتها وتاريخها ودينها".

٤. تشكيل الدلالة الأدبية فى النص الروائى عند إبراهيم الكونى.. رباعية الخسوف نموذجا

سعد عمر عبدالعزيز، ماجيستير ٢٠١٢، إشراف الدكتورة ثناء أنس الوجود، والدكتور إبراهيم محمود عوض، جامعة عين شمس.

تتناول الدراسة رباعية الخسوف بالوصف والتحليل فى ضوء "المنهج البنيوى بالإضافة إلى الإفادة من مناهج متعددة تنوعت بين المنهج الأسلوبى، والنفسى، والتحليلى لدراسة تقنيات تشكلات الدلالة"، وفقا للباحث.

٥. تحليل الخطاب الروائى وفق نظرية علم النص.. إبراهيم الكونى نموذجا

عادل محمد يوسف، دكتوراه ٢٠١٢، إشراف الدكتور محمد حسن عبدالعزيز، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

اعتمدت الأطروحة على ست روايات، هى (التبر، ونزيف الحجر، والسَّحرة بجزءيها، وبر الخيتعور، ونداء ما كان بعيدا، وخريف الدرويش)، فى ضوء نظرية علم النص، ورصد الباحث عددا من الظواهر النصية فى النصوص الستة، جاءت من بينها ظواهر التناص والتماسك اللفظى عبر أدوات التكرار والترادف، والروابط النحوية (الشرطية والسببة والاستدراكية)، وأدوات أخرى رصدها الباحث فى دراسته الضخمة التى قاربت الستمائة صفحة.

٦. الشخصية فى روايات إبراهيم الكونى

عبدالحكيم محمد عياد، دكتوراه ٢٠١٢، إشراف الدكتور سيد البحراوى، آداب القاهرة.

تتناول الدراسة "الشخصية" فى ١٢ نصا من روايات إبراهيم الكونى، هى (رباعية الخسوف، وثنائية خضراء الدمن "فتنة الزؤوان، وبر الخيتعور"، ولون اللعنة، والفم، وملكوت طفلة الرب، وواو الصغرى، والسحرة بجزءيها)، وحاولت الأطروحة رصد آلية رسم الكونى لشخصية الطوارق والكشف عن تكوينها النفسى وتفاعلها مع السياق البيئى والاجتماعى وفق المنهج الاجتماعى، بحسب الباحث.

ورغم إجلالى للجهد النقدى المبذول من قبل النقاد والباحثين على قلَّتهم، ففى ظنى أن نصوص الكونى أكثر عمقا وتركيبا من أن تحسمها قراءة نقدية واحدة، ربما يرجع هذا بحسب الدكتور صلاح فضل إلى تعدد منجزه وترابطه فى آن وفق «مشروع إبداعى طموح فى إعادة بناء الذاكرة وتشكيل وجدان قومه، واكتشاف كنوزهم المطمورة فى الوعى والمخيال الجماعى فى الآن ذاته»[١].

إبراهيم الكونى لا يزال بحاجة ليس لإعادة قراءة. فلم نقرأه نحن العرب بعد. بل يُسلِّم كثيرٌ من الباحثين والنقاد بأهميته الروائية، ربما تفاديا لمناقشة مشروع روائى صلبه تنوع مظاهر خطابه السردي، أسلوبا وبناء ودلالة، يستند إلى جملة من المعارف الفلسفية والدينية والميثيولوجية. والحق إن الأوروبيين أكثر منا

[١] ـ د.صلاح فضل، التمثيل الجمالى للحياة، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٤، ص٧٣.

معرفة بمنجزه؛ ففى حين عده بعض الباحثين «أسير الصحراء» رأى الأوروبيون فى «الصحراء» وسيلته الفنية لا غايته، "فدائما ما يقرأ لنا الأغراب بالإنابة ليكتشفوا كنوزنا الدفينة ويكشفونا لأنفسنا، حدث هذا مع طواسين الحلاج التى لم تكن لترى النور لو لم يحققها ماسينيون، وهذا ما كان سيحدث مع النِّفرى لو لم يحققه لنا آرثر"، بحسب الكونى.

على أية حال، الصحراء والبحر ببعدهما الميتافيزيقى، هما ما شكَّل الكونى منهما عوالمه وشخصياته وأبنيته السردية، بعبارة الرجل هما ما فرَّ من نفسه إلى بعدهما الغيبى: "البعد الرابع الذى يفر الإنسان من نفسه إليه، "فنحن نفر من أنفسنا عندما نعشق الله، نفر من أنفسنا عندما نهب أنفسنا للمرأة، نفر من أنفسنا عندما نتفرغ للمعرفة، حينها يخون المرء الوصية الأفلاطونية التى تحث الأجيال على أن تتعلم شريعة اللعب إذا شاءت أن تتجنب الشقاء، فيصير وقتها مبدعا يستحق أن يقبض على جمر إبداعه، الميتافيزيقا؛ علة الشقاء وما تفرضه على المرء من عزلة أبدية[1].

سُداسية "الأسلاف والأخلاف"

من بين روايات الكونى وقع اختيار الأطروحة على ملحمة "الأسلاف والأخلاف" لعدة أسباب، فى مقدمتها أنها أكثر الملاحم متعددة الأجزاء التى ألفها طولا، كما أنها الأولى والأخيرة التى غيَّر فيها مسرح أحداثه من الصحراء إلى البحر بعدما أشبع الأولى أسطرة وتأويلا، بعبارة أخرى بهذه السداسية غادر أساطير الصحراء ودخل أبواب المدينة.

[1] - إبراهيم الكونى، صحف إبراهيم (متون)، من صـ٩٣ وما بعدها "بتصرف".

تتكون الملحمة من ستة أجزاء هى (نداء ما كان بعيدا، وفى مكان نسكنه فى زمان يسكننا، ويعقوب وأبناؤه، وقابيل أين أخوك هابيل؟، ويوسف بلا إخوته، وجنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة) وصدرت ما بين أعوام (٢٠٠٦ - ٢٠١١).

اعتمدت الملحمة على تاريخ أسرة آل القرمانلى الحاكمة ليبيا طوال قرن وربع القرن (١٧١١ م - ١٨٣٥ م)، بدءًا من القرمانلى الأكبر انتهاء بـ"على بن يوسف القرمانلى" آخر من حكم طرابلس من الأسرة قبل أن تستردها الأستانة مرة أخرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر عام ١٨٣٥م.

تعمد الكونى أن يتخذ البحر مكانا تدور فى إطاره أحداث الملحمة، لينوع من تقنياته السردية التى مكنته من صناعة سداسية تحمل تاريخ ليبيا طوال قرن وربع القرن، وتطرقت أيضا إلى تاريخ حوض البحر المتوسط شماله وجنوبه بما فى ذلك مصر عصر نابليون، وعصر صراع المماليك والأتراك على السلطة فيها"، كما تناولت بعدا ثقافيا وحضاريا فى آن، وجدلية الشرق والغرب طوال القرن الثامن عشر وحتى أواسط ثلاثينيات القرن التاسع عشر.

البناء السردى للملحمة

أسس الكونى بنية الملحمة على الصراع القائم بين الحرية التى تعتنق التخلى والترحال وصية دينية يتوارثها أهل الصحراء، وبين مغريات السلطة (خطيئة الاستقرار) بأركانها الثلاثة السلطان والمال والمرأة، مستلهما شخصية أحمد القرمانلى، التى تنتمى إلى البحر من الأب، وإلى الصحراء من الأم، ليعكس